

الموضوع: تعالوا إليّ يا جميع المتعبين ...

برنامج أنوار كاشفة

ماذا يكون موقفك صديقي عندما ترتكب إثما أو تسلك بطريقة غير لائقة؟ هل تشعر بالندم وبوخز الضمير؟ وهل تتمنى لو أنك ضبطت نفسك ولم تقم بما قمت به؟ قد يكون هذا هو حال الكثيرين منّا في مثل هذه الحالات. لكن الخطر هو، أنه عندما تتراكم الآثام والأخطاء ونعتاد عليها، يصبح ضميرنا مع الأسف مشلولاً وضعيفاً، ولا يعود يؤنبنا عند كل إثم نرتكبه. ولهذا نصح بحاجة ماسة إلى ما نسميه بيقظة الضمير، لكي نعود ونراجع نفوسنا ونحاسبها، على ما نقوم به من تصرفات آثمة وغير صحيحة. وعندها لا بد أن نشعر بالندم الشديد والأسف على خطايانا. وليس هذا فحسب، بل سنشعر بمدى ثقل خطايانا، ونبدأ بالبحث عن أفضل الطرق، للتخلص من وخز الضمير وثقل الخطية الذي ننوّ تحتة. ولهذا نلجأ إلى وسائل عديدة، نظن أنها قد تساعدنا في هذا الأمر.

فنرى الكثيرون يلجأون إلى التدين وممارسة الشعائر الدينية، من صلاة وصوم وإحسان إلى الفقراء، ظانين أنهم بذلك يدفعون ديون خطاياهم، ويرضون الله. غير عالمين أنه ليس بإمكان أحد أن يُرضي الله. فلا الصلوات ولا الأصوام ولا أعمال الإحسان، تستطيع أن تغفر ولو خطية واحدة يرتكبها الإنسان. لأن عقاب الخطية هو الهلاك الأبدي، بحسب كلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس. إن الخطية بحاجة إلى غفران من الله، وليس إلى أعمال صالحة نقوم بها نحن البشر الخاطئة لكي نرضيه تعالى. فهل يغفر الله خطايانا ومهما كانت كثيرة وكبيرة؟ وعلى أي أساس يغفرها لنا؟

للإجابة عن هذه التساؤلات لا بد لنا أن نعود إلى كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس. وعندها سنكتشف أن موضوع غفران الله لخطايانا، هو هدف الله منذ أن خلق الإنسان، لا بل منذ الأزل. وسنكتشف أيضاً، أن الله قد أرسل المخلص المسيح إلى عالمنا، لهذه الغاية بالذات، أي لكي يغفر خطايانا. ولقد أكد المخلص المسيح هذه الحقيقة أثناء حياته على الأرض مرات عديدة. فلقد صرّح المسيح مرة قائلاً: " تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احمّلوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأنني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملتي خفيف." (متى ١١: ٢٨-٣٠).

فماذا قصد المسيح بهذا التصريح الهام؟ وإلى من وجّه كلامه؟ من الواضح أنه قصد بكلامه كل الناس المتعبين من خطاياهم، وحملها الثقيل على كاهلهم. وأبلغهم أنه يوجد لهم رجاء أكيد وحقيقي. وهذا الرجاء يستند عليه هو شخصياً، أي على المخلص

المسيح. إذ دعاهم لكي يأتوا إليه فيجدوا الراحة الحقّة. فكيف بإمكان المسيح أن يريح التعابى من الخطية ويزيل حملها الثقيل عن كواهلهم؟

كما ذكرنا قبل قليل، فإن هدف الله من إرسال المسيح إلى عالمنا هو لكي يعالج موضوع الخطية، ويهبنا الغفران الكامل. وما تصريح المسيح الهام هذا إلا تأكيد لهذه الحقيقة. وعندما دعا المسيح كل المتعبين من الخطية وحملها الثقيل أن يأتوا إليه، فهو كان يعني ما يقول. فهو لن يريحهم من خطاياهم عن طريق مساعدتهم لكي ينسوها، بل لكي يحملها بدلا عنهم. فهو عندما قال: **تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم.** أراد القول أنه سيريحهم من تعب خطاياهم، وحملها الثقيل، عن طريق حملها بدلا عنهم.

لكن كيف حمل المسيح خطايانا نحن البشر بدلا عنا؟ حملها عندما مات على الصليب، لهذا أخذ عقاب خطايانا، ووقعت عليه دينونة الله. أي مات بدلا عنا، أخذ القصاص عوضا عنا. إن المسيح مات إذن ليكفر عن خطايانا، وهكذا فتح الباب واسعا أمامنا جميعا لكي ننال غفران الله ورحمته. ولكي نحصل على هبة الغفران هذه علينا أن نؤمن فقط بعمل المسيح الكفاري من أجلنا على الصليب. وهكذا عندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح وموته الكفاري على الصليب من أجله، يغفر الله ذنوبه ويرحمه. يغفرها له ويرحمه على أساس أن المسيح أخذ عقاب الخطية عوضا عنه. فهل هناك أعظم من محبة الله لنا نحن البشر الخطاة؟ أن يرسل المخلص المسيح كلمته الأزلي، ويقدمه فدية من أجلنا؟ وهل ترانا نستفيد من هذه الفرصة العظيمة المتاحة أمامنا ونقبل عطية الله المجانية؟

" **تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم.** " فهل أنت مستمعي من هؤلاء الذين أتعبتهم الخطية، وناؤا تحت ثقلها؟ وهل أنت من الذين يعيشون تحت تأنيب الضمير ووخزه المستمر؟ إن المخلص المسيح يدعوك اليوم أن تأتي إليه بالإيمان، إذ هو الوحيد الذي يستطيع أن يهبك الراحة الحقّة، وذلك عن طريق حصولك على غفران الله الكامل، ورحمته وسلامه العجيب. وعندها يسقط حمل خطاياك الثقيل عن كاهلك، لأنك تتأكد أن الله قد غفر خطاياك ومهما كانت عظيمة وكثيرة. وتتمتع براحة الضمير الكاملة، إذ تتيقن أن المسيح حمل خطاياك على الصليب وأخذ عقابها عوضا عنك.

لكن المخلص المسيح لم يقف عند هذا الحد بل أضاف قائلا: **"احملوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملّي خفيف.**" إن الإنسان عندما يؤمن بالمخلص المسيح لا ينال الغفران فحسب بل يصبح خليفة روحية جديدة، ومن أولاد الله. وكأنسان جديد يكرس حياته إلى الله والمخلص المسيح، ويسعى لكي يسلك في طريق الصلاح والخير.

ولهذا دعانا المسيح لكي نحمل نيره، أي نكرس حياتنا بالكلية له، ونسلمه قيادة نفوسنا. ونتعلم منه في كل يوم، إذ هو يدرينا عن طريق دراسة كلمة الله المقدسة، والشركة الروحية بالصلاة إلى الله. وعندها تنعكس وداعة المسيح وتواضعه على حياتنا، ونعيش حياة التقوى والبر والصلاح. وهذا بحد ذاته يملأنا بفرح الله العجيب، وننال راحة القلب من الداخل. والسبب كما قال المخلص المسيح، لأن نيره أي الإرتباط معه وتكريس حياتنا له هين، وحمله خفيف. إن الحياة الجديدة مع المسيح، هي حياة الحرية الحقة، لأنها هي حياة التحرر من عبودية الخطية. ألم يقل المسيح مرة أيضا: "إن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحرارا." (يوحنا ٨: ٣٦) فعندما يحررنا المسيح من عبودية الخطية، نحصل على الحرية الحقة. ولهذا يصبح نيره هين وحمله خفيف.

وماذا عنك مستمعي الكريم؟ ألا تأتي بالإيمان ملبيا دعوة المسيح لك؟ وعندها لا تحصل على الراحة الحقة فحسب، بل تتال الغفران الكامل عن خطاياك، والحرية الحقة. فهل تلبى الدعوة الآن؟